من ينصف المرأة ؟

محمد بن عبد الله الحمود

مصدر هذه المادة :







بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصـلاة والسـلام على من لا نبي بعده.. وبعد:

لقد دأب دعـــاة تحرير المـــرأة عـــبر وســائلهم المختلفة على تصــوير المفــاهيم الإسلامية الخاصة بالمرأة تصــويرًا يحط من قدرها، وينتقص من صـلاحيتها، ويشـكك في قــدرتها على الاســتجابة لمتطلبــات الحيــاة العصرية.

وقد ســـلكوا في ذلك مســـالك كثـــيرة ومتنوعة تصب كلها في النهاية في قــــالب واحد وهو أن المرأة المســلمة عامة – وفي هذه البلاد خاصة – مهيضة الجناح، مســلوبة الكرامــة، مهانة مــزدراة، وأنها شق معطل ورئة مهملــة، وأن الرجل اســتأثر دونها بكل شـــيء وأنها ليست كــالمرأة الغربية الــتي فاقتها بكل شـــيء ونـــالت من الحقـــوق والحرية والســعادة – بــزعمهم – ما لم تنله هي إلى غـــــير ذلك من الافـــــــتراءات والادعـــاءات الكاذبة الــتي يطلقها أدعيـــاء التحرير بين فـــترة وأخـــرى بقصد التغرير بــالمرأة المســلمة وتشــجيعها على التمــرد

والتفلت من دينها وتقاليدها الإسلامية الــتي تــربت ونشــأت عليهــا، ولا شك أن كل ذلك كــذب وافــتراء وبهتــان وتجنِّي على الحق ومخــالف للصــواب، وإلا فــإن المتأمل في واقع المرأة المسلمة يرى بكل وضوح كيف أن الإسـلام قد عـني بـالمرأة أعظم العناية والاهتمـــام، وأحاطها بـــالإجلال والإكـــرام، والتقـــدير والاحـــترام، وصـــانها من الـــذل والامتهان وحفظها من الفساد والإجرام.ـ

لقد جــاء الإســلام والمــرأة مهضــومة الحقــوق كسـيرة الجنـاح، تُـورث كسـقط المتاع، فملَّكها بعد أن كـانت تُملـك، وورَّثها بعد أن كـانت تُـورث، وأحياها بعد أن كـانت توأد وتقتل.

جاء الإسلام والمرأة في أسفل الدرجات وأحط الـــــدركات فانتشـــــلها وجعلها في المكان اللائق بها.

انتشـلها من السـفح إلى القمة وأعطاها حقوقها كاملة غـير منقوصـة، فصـارت في دين الله معــززة مكرمـــة، وحـــدد أعمالها وواجباتها بما يتناسب مع تكوينها وطبيعتها بعيـــدًا عن الرجـــال وعن كل ما يخـــدش

حياءها ويفسد أخلاقها حفاظًا عليها ورحمة بها واحترامًا وتقديرًا لها، كما حفظ الإسـلام للمــرأة حرية التصــرف في مالها الخــاص دون أن يكـون للـزوج حق الوصـاية عليـه، وكطفل لها حق المهر وحق المـيراث وحق حضـــانة الأطفـــال، كما اشـــترط معاملة الزوجة بــالمعروف، بل جعل رسـول الله ﷺ خـــير النـــاس وأفضـــلهم، أفضـــلهم معاملة لزوجته وأهل بيتـــه, فقـــال عليه الصـــلاة والسلام: «**خـيركم خـيركم لأهلـه، وأنا خـــيركم لأهلي**» [رواه الترمــذي وقــال حسن صـــــحيح كما أخرجه الـــــــبيهقي والطبراني].

وعلى كـثرة الشـرائع والملل السـماوية والأرضية إلا أنه لم يأت شرع أكـرم المـرأة وسَـمَا بها وارتقى بماكنتها كشـرع الإسـلام، ســـواء كـــانت أمًا أو أختًا أو زوجة أو بنتًا أو بأي منزلة من منازل القربى.

فهي إن كـــانت أختًا شـــرَّفت أخاها وإن كـــــانت بنتًا وقد أحسن الأب تربيتها تكن له سترًا من النار، وإن كانت زوجة فهي نصف الحيـــــاة، وإن كـــانت أمًا « **فالجنة تحت أقدام الأمهات**»، وإن كانت جدَّة تحـولت

إلى ملكة في كيـــان الأســـرة بين أولادها وأحفادها.

وبنظرة واقعية لوضع المرأة في الغــرب نـــرى الفـــارق الكبـــير بينها وبين المـــرأة المسلمة.

ومن ينظر إلى واقع الغـــــــــرب وقيمة المرأة عندهم؛ يجد مصــداق ذلــك. فهي إن كــانت بنتًا تتقاذفها أيــدي الــذئاب البشــرية دون حميَّة من أحد، وإن كانت زوجة فهي لا تــــأوي إلى بيتها إلا كالّة مرهقة لتشـــارك زوجها في دفع مصــاريف الــبيت وأقســاط الســـيارة، فقيمتها بمقـــدار ما تـــدفع، وإن كـــانت أمًا فأولادها غالبًا ما يقـــذفونها في النهاية في إحـــــدى دور الرعاية الاجتماعية دونما رحمة أو تقدير.

فكم هو البــون شاســعًا بين المــرأة في المجتمع الإســلامي وبين تلك المجتمعـــات الـــتي أذلت المـــرأة وامتهنتها ورضـــيت بســـفورها وتبرجها واختلاطها بالرجـــال، وجعلت لها حرية منفلتة بلا ضـــابط أو رادع فانتكست فطرتها وســـــــــلبت كرامتها وأصــبحت ســلعة رخيصة تبــاع وتشــترى ثم تــرمى بعد أن تنتهي صــلاحيتها بلا شــفقة أو

رحمة.

والمــرأة في هــذه البلاد ليست بأقل من مثيلاتها في المجتمعات الأخــرى كما يــدعى المبطلون، بل إنها قد تفوقت في كثــير من المجالات على نساء تلك المجتمعات.

وقد فــاقت الجميــع؛ لأنها تســير بخطى ثابتة موازنة بين طموحها الــــذي يــــدفعها للتعلم والعمل الجــــاد وبين المحافظة على تعاليم دينها القويم.

ولقد قــرأت كاتبة ألمانية حقــوق المــرأة في الإسلام، وهي التي تعرف ما ينال بنــات جنســها في المجتمع الغــربي من الإشــارة والانتقاص باسم المدنية والحرية، كما كانت من قبل مهانة ذليلــة، فصــار بين الحــالتين إفــراط وتفريــط، فقــال: إن المــرأة عند المسلمين ملكة متوجهة، بما لها من حقوق وواجبات، وبما تلقاه من الاهتمــام والعنايــة، وإن المرأة الغربية لتحسدها على ذلك».

هل للمرأة المسلمة قضية

إن الســؤال الــذي يطــرح نفسه هــو: هل للمــرأة قضــية في مجتمعنــا؟ ولمــاذا هــذه الإثــارة؟ هل ضــاعت هويتهــا؟ أو هل هي مظلومة حــتى تعلن هي أو غيرها المرافعة

والمطالبة بحقوقها؟

فـإذا كـان لقضـايا المـرأة المطروحة ما يفسر أسباب إثارتها في مجتمعـات معينة – نقــول يفســرها ولا يُســوغها – فإنما لا نجد مسوغًا بل ولا تفسيرًا لطـرح هـذه القضـايا وإثارتها في مجتمعنا حيث تســـود فيه قيم الإســـلام الضـــابطة لوضع المـــرأة في المجتمع.

إن قضية المرأة المسلمة ليست كقضية المــرأة الأوروبيــة؛ فالأوروبية قد صــار لها قضية لأنه ليس لمجتمعها منهج رباني يسير عليــه، إنما يُشــرِّع فيه البشر لأنفســهم من واقع أهوائهم ورغباتهم، فيظلمـون أنفسـهم ويظلمون غيرهم، وقد وقع الظلم هناك من تشـــريع – أو عُـــرف – وضـــعه البشر ثم اختـــاروا – أو اختـــار لهم الشـــياطين في الحقيقة – حلاً ساروا فيه حتى أوصلهم في النهاية إلى الخبـــال، من تفكك الأســـرة وتحلل المجتمع وشـــقاء المـــرأة والرجل كليهما، وتشـرد الأطفـال، وجنـوح الأحـداث وانتشـــار الشـــذوذ والأمـــراض النفســـية والعصبية والقلق والجنون والانتحار، وغيرها كثير.

أما المـــــرأة المســــلمة فهي ليست مظلومة حـتى يكـون لها قضـية يتغـنى بها المغرضـون المفسـدون أصـحاب الأهـواء والشــــهوات، وإن وقع على المــــرأة بعض الظلم من بعض الرجـال ضـعفاء النفـوس فهو قد وقع عليها من مخالفة المنهج الرباني الذي الـتزم به مجتمعها عقيـدة ولم يلـتزم به عملاً، فعلاج القضـية هو الرجـوع إلى المنهج الربـاني الصـحيح والالـتزام به عقيــــدة وعملاً، وليس علاجه هو اتبـــــاع الخطـوات الـتي سـارت فيها القضـية في الغـرب، فخـرجت من تخبط ولا تـزال، لأن ذلك لن يحل مشكلة المـرأة عنـدنا، كما لم يحلها هنــــاك، وسيصل بها وبمجتمعها إلى المصير البائس ذاته الذي وصل إليه مجتمع المرأة الغربي من قبل [1].

إن هؤلاء الذين ينادون بما يســمى تحرير المــرأة إما أنهم جــاهلون بحقيقة ما تعانيه المرأة في المجتمعات الغربية أو منهزمـون نفسـيًا ومتـأثرون بالثقافة الغربية ويريـدون تطبيقها بصـــرف النظر عن ســلبياتها وهم

---

[1] (?) انظر: كتاب قضية تحرير المرأة، لمحمد قطب ص 4، ص38.

يرون زيف الحضارة الغربية أنموذجًا يحتذى بعد أن فتنهم بريق العيـون الزرقـاء للمـرأة الغربيـة, فحجب عنهم رؤية القـذارة النابعة من واقع هـــذا الانحلال الخلقي، و**هم أحد فريقين:**

*فريق يعلم جيدًا أن الطريق الذي تسير فيه القضـــية ســـيؤدي إلى انحلال المجتمع وتفككه كما حـــدث في المجتمع الغـــربي، وهو يريد ذلك, ويسعى إليه جاهـدًا؛ لأنه من الذين يحبـون أن تشـيع الفاحشة في الـذين آمنوا.

*وفريق مخدوع مسـتغفل؛ لأنه مسـتعبد للغـرب لا يـرى إلا ما يـراه الغـرب ويظن – في غفلته وعبوديته – أن ســـيده دائمًا على صواب.

وهـــذا الفريق وذاك مســـخران لخدمة أعداء الإسلام داخل المجتمع الإسلامي.

وضع المرأة قبل الإسلام

لكي تعرف المرأة المسلمة النعمة الـتي هي فيها والمكانة الـــــــتي تتبوأها في ظل تعاليم دينها القويم وما أعطاها الإسـلام من حقـــوق وواجبـــات تحلم بها أي امـــرأة في

العـالم نقـول: لكي تعـرف المـرأة كل ذلك عليها أن تعرف كيف كـان وضع المـرأة في الجاهلية وفي الحضارات القديمة.

فقد كانت عند العرب في الجاهلية سلعة تبـاع وتشـترى يُتشـاءم منها وتُـزدري، تُبـاع كالبهيمة والمتاع، تُورث ولا تـرث، تُملك ولا تملـك، تُـوأد وتُقتل ولا قصـاص على من قتلهـا، للـزوج حق التصـرف بمالها بـدون إذنها.

وفي الحضـارة الرومانية كـانت المـرأة متعة مباحة حتى تحولت المعابد إلى أماكن تعاطي البغاء.

وفي الحضـارة البابلية لا يحق للفتـاة أن تتزوج قبل أن يفض بكارتها رجل غريب.

وفي الحضـارة الإغريقية قَـرَنَ «هزيـود» الزوجة بالبيت والمحـرات والثـور، واعتبرها فلاسفتهم أصل الشرور.

وفي الحضـارة الصـينية كـان بوسع الأب أن يـبيع زوجته وأبنـاءه عبيـدًا وأن تحـرق الزوجة نفســها تكريمًا لـه، وهنـاك أغنية صـينية تقـول: «ما أتعس المـرأة ليس في العالم كله شيء أقل قيمة منها».

وفي لحضارة الهندية اعتـبر بـوذا المـرأة

مصـــدرًا للرذائل وســـوء الســـلوك، ودعا للابتعاد عنها.

وعند اليهــود إذا حاضت المــرأة تكــون نجسة تُنجِّس الـــبيت والمتـــاع والطعـــام والإنســان والحيــوان إذا مســته، وبعضــهم يطردها من بيته حتى تطهر ثم تعود.

وعند بعض النصــارى أن المــرأة ينبــوع المعاصي، وأصل السيئات، وهي للرجل من أبواب جهنم.

وتتعد الجاهليات والنهاية للمرأة واحدة.

واقع المرأة في العصر الحديث

إن ظلم المـــــرأة وإهانتها وازدرائها لم يقتصر عليها في العصـــــــــور الجاهلية وحضارات الأمم السابقة فحسب، بل إنها لا تزال أيضًا في العصر الحديث تعــاني الظلم والاستبداد والاحتقــار في مجتمعــات تــدعي الحضارة والمدنيــة، وتطــالب دائمًا – حسب زعمها – بحقــوق الإنســان وتحرير المــرأة ونحو ذلـــــــــك، والمتأمل في واقع تلك المجتمعـات الكـافرة يـرى كيف أن المـرأة في أوروبا وأمريكا قد فقـــــدت كل قيمتها وبلغت من الــذل والشــقاء حــدًا لم تبلغه المـرأة في أي مكـان، فقد أصـبحت ألعوبة

تتدحرج من يد إلى يد، ويستبدل بها غيرها، إنها تشاهد في كل مكان، خادمًا في المطاعم والفنادق، وحمالة في الأسواق والطرقات، وسائقة للعربات، وتمرض الرجال وتقوم بخدمتهم، وتلبي رغباتهم وشهواتهم البهيمة بلا ضابط أو رادع.

إنها توجد في جميع المناسبات متاعًا رخيصًا متوافرًا في كل دكان، وقد انعزلت عن مكانتها العالية التي خلقها الله تعالى من أجلها حتى تهلهل لباسها، وصدئ قلبها، وأصبح شعارها السآمة والكآبة والقلق والحيرة، دون أن تفكر في غاية حياتها وعلو مكانتها، ومصيرها الذي تسرع إليه.

إن البنت في أمريكا إذا بلغت سن الرشد قبض أبوها يده في وجهها وقال لها: اذهبي فتكسبي وكلي، فلا شيء لك عندي بعد اليوم، فتذهب المسكينة تخوض غمرة الحياة وحدها، لا يبالون أعاشت بكدها أو بجسدها.

ولا يسألون هل أكلت خبزها بيديها أو بثدييها.

وليس هذا في أمريكا وحدها بل هو شأن

القوم كلهم في ديارهم [1].

وقد ذكر أحد الأســـاتذة ممن درس في الغـــرب أن أســـتاذة جامعية كبـــيرة في بريطانيا بعثت إليه برسـالة تشـكو إليه فيها همـوم المـرأة الغربية ومآســيها وأنها في شبابها تكون فريسة للـذئاب، يلاحقها طلاب المتعة ويقـــدمونها بحسب ما عنـــدها من جمـال، وفي كبرها تُـرمى وتهمل حـتى من أولادها وأقاربها، وفي حياتها الزوجية تكــون مشـــغولة مهمومة خالية من المشـــاعر والأحاســيس الصـــادقة، عليها أن تقـــدم لزوجها المـال وتقاســمه أعبـاء مصـاريف المـــــنزل بغض النظر عن راحتها أو راحة أولادها المادية أو النفسية، ثم تختم رسالتها بـــالقول: «إنـــني أتمـــنى أن أعيش زوجة مسلمة في بيئة إسـلامية ولو لشـهر واحـد، حيث الـــــزوج يغـــــار على أهله ويحميهم ويحيطهم بحبه وحنانـه، ويكلأ زوجته وأولاده برعايته ويحنو عليهم ويقـــــــدم لهم كل ما يســـــتطيع من العــــون المــــادي متحملاً

[1] (?) انظر: كتاب رسـالة إلى حـواء – محمد العويد ص 90-91.

المسؤولية كاملة بشجاعة نادرة»[1].

هـذه هي حـال المـرأة الغربية وما تعانيه من بؤس وشـقاء في حياتهـا، والـتي ينـادي دعــاة التحرير والتغــريب في بلادنا المــرأة المسلمة بتقليدها والسير على منهجها.

فنقول لمثل هؤلاء المنهزمين: من أجــدر بتقليد من؟ أليست المـرأة الغربية الضـائعة التائهة التي لا تعرف لها رسالة ولا غاية من حياتها ســـوى اللـــذة والعبث، أليست هي أولى بتقليد المـرأة المسـلمة الـتي تعـرف الطريق التي تسير فيها والغاية التي تسعى إليها والرسالة التي تؤمن بها؟!

ألا يقـــرأ هـــؤلاء شـــكاوى الغربيـــات العــاقلات، وشــكاوى الغربيــات اللــواتي صحون من غفلتهن؟

ألا يقــرؤون كلام من أســلم منهن وهن يقـــــــــارنَّ بين ظلام كنَّ يعشن فيه قبل إسلامهن ونور انتقلن إليه بعد دخلــوهن في الإســلام؟! أم أنهم دعــاة فتنة وشر وهــواة فساد ورذيلة[2].

---

[1] (?) انظر: مجلة الجندي المسلم عدد 70.

[2] (?) انظر: كتاب رسـالة إلى حـواء – محمد العويد ص 422.

ونقـول أيضًـا للمـرأة المسـلمة بعـدما عرفت وقرأت عن حال المـرأة الغربية وما وصـلت إليه من وضع مـزري وما هي فيه من التعاسة والشـقاء، نقـول لهـا: احمـدي الله على ما أنت فيه من نعمة كبـيرة وما أعطـاك الله من حقـوق وواجبـات كثـيرة، وإيـاك إيـاك أن يسـتدرجك دعـاة الضـلالة ويضـحكون عليك كما ضـحكوا على غـيرك، إياك أن تلتفتي إلى هذه الدعاوى الكاذبة أو تسـمعي لهـذه الصـيحات العارمة الـتي يطلقونها وينادونك بهـا، ويشـجعونك على التمـرد والتحـرر من تعـاليم دينك وأخلاقك وعاداتك الإسلامية التي نشأ عليها.

إنهم يريـدون منك أن تكـوني فـاجرة عاهرة ماجنة، يريدون أن تكـوني بهيمة في مسلاخ بشر – حاشاك ذلك يا ابنة الإسلام – كل ذلك حـتى تصـيري إلى ما صـارت إليه المرأة الغربية من تدهور وضـياع، وتصـيري لعبة في أيـاديهم يوجهونك حيث شـاؤوا وينالون منك ما أرادوا.

إن هـؤلاء المفسـدين يتربصـون بك الدوائر، يريدون نـزع حجابك ونهش عفافك غير مبالين بعد ذلك بأي واد تهلكين.

فأغيظيهم وقولي لهم بلسـان حالـك ومقالك:

دعهم يعضُّوا على صُم

من مات من غيظه منهم له

إن آمالنا بك أختي المسلمة أن تكوني أقوى من التحديات وأن تعتزين بدينك وتتمسكي بعقيدتك ومبادئك وأخلاقك، فالدنيا قصيرة، والسعادة فيها في تعظيم حرمات الرب، واتباع منهج الإسلام الذي أنصفك ورفعك وأعلى قدرك، وفيه ما يسعدك ويصلحك دينًا وأخرى..

وفقك الله وحفظك من كل سوء، وجنبك كل مكروه، وسترك في الدنيا والآخرة.

